التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد المزدوج ١٢٣-١٢٤ خريف ٢٠١١ شتاء ٢٠١٢ السنة الحادية والثلاثون

في هذا العدد:

أ. د. حسين جمعة — الوحدة الثنية في الشعر الجاهلي. زهير أنموذجاً.
د. سكينة موعد — ما ذكر في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ، دلالتها ومعانيها
د. أحمد فوزي الهيب — مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويرد.

ملف العدد "دراسات بلاغية" وفيه:

أ.د. عبد الفتاح محمد — الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم
د. خلدون صبح — بلاغة المثل في القرآن الكريم
د. أحمد ويس — فكرة الاختيار وموقعها من التنظير الأسلوبي في التراث العربي
د. محمد هيثم غرة — أبيات المتنبي في دلائل الإعجاز
د. منيرة فاعور — فن الإيجاز في أدب التوقيعات
د. خالد زغريت — الأسس البلاغية لبنية القيمة الجمالية للسحاب في الشعر الجاهلي
أ.د. عبد الفتاح محمد — اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية أدائية)

التراث العربي
مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
العدد المزدوج ١٢٣-١٢٤ خريف ٢٠١١ شتاء ٢٠١٢ السنة الحادية والثلاثون

في ملف العدد القادم ومواده:

أ.د. بكري شيخ أمين — البدهيات الضاحكة عند ابن سُودُون
أ.د. فاروق اسليم — من تراثنا الشعري المقاوم للصليبيين أسامة وابن رزّيك نموذجاً
أ.د. ماجدة حمود — ابن المعتز والنقد الأدبي
أ.د.محمد فلفل — التركيب اللغوي في شعر المتنبي
د. عزت شاهين — الأبعاد الديموغرافية في فكر ابن خلدون
جورج عيسى — الفيلسوف العربي يحيى بن عدي
محمود فاخوري — فن التراجم
أ.د. خليل الموسى — الأسئلة الوجودية في لزوميات المعري
د.محمد رياض وتار — أطراف الخطاب السردي في رسالة الغفران
د.عبدالكريم حسين — تأويل النص عند أبي العلاء المعري

السعر: داخل القطر (٥٠) ل.س
خارج القطر (١٠٠) ل.س

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

اتحاد الكتاب العرب
Arab Writers Union
Damascus دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

التراث العربي

مجلة فصلية محكّمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

المدير المسؤول
أ. د. حسين جمعة

رئيس التحرير
أ.د. راتب سكر

مدير التحرير
أ.د. عبد الإله نبهان

هيئة التحرير:

أ.د. أحمد دهمان - أ.د. أحمد فوزي الهيب - أ.د. سهيل زكار

أ.د. عبد اللطيف عمران - أ د. علي أبو زيد - د. ممدوح خسارة - أ.د. وهبة الزحيلي

الإشراف والتدقيق اللغوي: أ. د. نبيل أبو عمشة

الإخراج الفني: أسمى الحوراني

المراسلات باسم رئاسة التحرير

اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي، دمشق ـــ ص. ب (٣٢٣٠)

فاكس: ٦١١٧٢٤٤

البريد الإلكتروني ـ E-mail : aru@net.sy / aru@tarassul.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت:

www.awu-dam.org

شروط النشر

١. أن يكون البحث ذا صلة وثيقة بالتراث العربي .

٢. جدة البحث، وتقيده بالمنهج العلمي الدقيق، والتزامه الموضوعية، والتوثيق والتخريج، والسلامة اللغوية.

٣. تقديم البحث منضداً على الحاسوب، ومشفوعا بقرص مدمج (CD) فضلاً عن النسخة الورقية.

٤. أن يراعي البحث علامات الترقيم، وأن لا يتجاوز الحجم مع الهوامش والمصادر والمراجع، عشرين صفحة.

٥. توثيق البحث علمياً وفق الأسس المعتمدة في المجلات الجامعية السورية المحكمة، ولاسيما مجلة جامعة دمشق.

٦. تقديم البحث مشفوعاً بملخص مناسب، وسيرة علمية و ذاتية لمؤلفه ،تبين موقعه من الوظائف العلمية، وعنوانهً.

٧. يجري تحكيم البحث، وفق الأسس المعتمدة في المجلة والمتطابقة مع المجلات الجامعية المحكمة.

٨. ترتيب البحوث في كل عدد، يخضع للأسس الفنية المعتمدة في المجلة من دون مراعاة مكانة الكاتب العلمية والثقافية.

٩. يمنح مؤلف البحث موافقة علمية على النشر بعد تحكيمه بناء على طلبه، مرَّة واحدة في السنة.

❐❐❐

الاشـــــتراك الســـنوي

ـــ داخل القطر للأفراد	: ٨٠٠ ل.س
ـــ في الأقطار العربية للأفراد	: ٢٥٠٠ ل.س أو (٥٠) دولاراً أميركياً
ـــ خارج الوطن العربي للأفراد	: ٣٠٠٠ ل.س أو (٦٠) دولاراً أميركياً
ـــ الدوائر الرسمية داخل القطر	: ١٠٠٠ ل.س
ـــ الدوائر الرسمية في الوطن العربي	: ٣٠٠ ل.س أو (٦٠) دولاراً أميركياً
ـــ الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي	: ٣٥٠٠ ل.س أو (٧٠) دولاراً أميركياً
ـــ أعضاء اتحاد الكتاب	: ٢٥٠ ل.س

الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكاً يدفع نقداً إلى مجلة التراث العربي

-- المحتوى --

١	الافتتاحية:	أ.د. راتب سكر	٧
	ملف العدد: دراسات بلاغية		
٢	اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية أدائية)	أ.د. عبد الفتاح محمد	١٣
٣	بلاغة المثل في القرآن الكريم	د. خلدون صبح	٣٥
٤	فكرة الاختيار وموقعها من التنظير الأسلوبي في التراث العربي	د. أحمد ويس	٤٣
٥	أبيات المتنبي في دلائل الإعجاز	د. محمد هيثم غرة	٦٥
٦	فن الإيجاز في أدب التوقيعات	د. منيرة قاعور	٨٧
٧	الأسس البلاغية لبنية القيمة الجمالية للسحاب في الشعر الجاهلي	د. خالد زغريت	١٠٧
٨	المعنى البلاغي	د. عبد العليم بوفاتح	١٢٧
٩	القلب البلاغي	محمود جابر	١٤٧
١٠	ترجمان البلاغة بين التأثر بالبلاغة العربية والتأثير في الفارسية	مهدي محمدي نجاد	١٥٩
11	بلاغة الصورة المجازية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري	حميد قبايلي	١٨٣
	بحوث العدد		
١٢	الوحدة الفنية في الشعر الجاهلي - زهير أنموذجاً -	أ.د. حسين جمعة	٢١١
١٣	الفكر التربوي عند الغزالي من الشك المنهجي إلى اليقين	أ.د. عبد الله المجيدل	٢٣٧
١٤	صورة دمشق عند جلال الدين الرومي	د. حيدر خضري	٢٥٩
١٥	تجليات وجدانية في الحب الإلهي عند جلال الدين الرومي	د. ميادة ألتونجي	٢٧٥
١٦	حوار الخطابات في ثمرات الأوراق فيما طاب من الأوراق	د. سمر الديوب	٢٩٣
١٧	ما ذكر في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ: دلالتها ومعانيها	د. سكينة موعد	٣١٣
	أوراق تراثية		
١٨	أخبار التراث	أ.د. عبد الإله نبهان	٣٢٧
19	قراءة في مواد الأعداد الماضية: قراءة في المستدرك على ديوان أبي تمام	أ.د. صلاح كزارة	٣٣٩
20	كُتب وكُتاب: (أبو علي القالي)	أ.د. عمر الدقاق	٣٥١
٢١	آخر الكلام: (مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره)	أ.د. أحمد فوزي الهيب	٣٥٩

التراث العربي
123 ـ ١٢٤

بلاغة الصورة المجازية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري

حميد قبايلي (*)

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة صورة المجاز المرسل بمختلف علاقاته في شعر المدح النبوي عند علم من أعلامه الرواد في صدر الإسلام، وهو الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري. كما تتبع الدراسة مفاهيم بعض المصطلحات البلاغية والنقدية المتداولة عصر ذاك، كالحقيقة والمجاز، كما تعرض الدراسة للآراء المختلفة حول هذه المصطلحات عند بلاغيينا ونقادنا القدامى. ثم تشير الدراسة إلى القائلين بالمجاز والمنكرين له، قدامى ومحدثين، ويخلص البحث لدراسة الظاهرة دراسة تطبيقية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت.

(*) أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

وأول مصطلح أقف عنده، هو مفهوم المجاز عموماً:

مفهوم المجـــاز:

لا يمكن الحديث عن المجاز الذي حوى شطراً كبيراً من تاريخ البلاغة العربية، دون الإشارة إلى الحديث عن الحقيقة وأقسامها. والآراء المتباينة المتضاربة التي أوردها العلماء واختلافاتهم في هذا المجال. ومِمَّا ينبغي الإشارة إليه_ قبل الخوض في التقسيمات والتفريعات ــ ظاهرة (إعجاز القرآن) التي فرضت نفسها على البلاغة العربية، ولم يكن أمام البلاغيين القدماء إلاَّ أن يدافعوا عن إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه وبيانه، وكان (المجاز في القرآن) الدافع الأساس إلى الدراسات البلاغية بمختلف أوجهها. بل شكَّلت هذه الظاهرة حسب رأيي تحديا أكبر منذ «أبي عبيدة» ومن سبقه، إلى «عبد القاهر الجرجاني» ومن جاء بعده.

لقد كان القرآن بسحر بيانه وجمال بلاغته، ونوادر استعمالاته في فن القول نقلة لغوية متأصِّلة أمدَّت البلاغيين بحاسَّة نقديَّة متمكنة، اتجهت بموكب البلاغة العربية نحو الزَّخم الدِّلالي المتطوِّر الذي حواه القرآن الكريم، وراح العلماء يجنون ثماره، وينهلون من رصيد هذا المَعين الحضاري الذي لَمْ ولَمَّا يَنضب، فكان من نتيجة هذا الجهد المتواصل ما وصلنا من تراث بلاغي ولغوي بالإضافة إلى شتى أنواع المعارف الإنسانية. فكان القرآن الكريم، مادة هذا التطور في أمثلته اللغوية وأسراره البيانية، وكان إقبال العلماء المسلمين على جمعه وتدوينه وتوحيد قراءته وحفظه في الصدور وعلى السطور، ثمَّ بدأت رحلة الكشف عن خبايا هذا الكتاب وكنوزه، ودراسة مختلف قضاياه البلاغية والفنية. وكان القرآن بأسلوبه المعجِز القاعدة الأساسية التي انطلق منها العلماء في معالجتهم (التجوُّز في التعبير)، مِمَّا فتح الباب على مصراعيه أمام اللُّغوي والمفسِّر والمتكلِّم والفقيه والأديب والبلاغي أن يعالج كل منهم موضوع الإعجاز بأسلوبه الخاص فاتسع الحديث وتعددت المناهج ...

٢ ـ المجاز:

٢ـ١ـ المجاز لغة:

المجاز مشتق من جَازَ الشيء يَجوزُه: إذا تعدَّاه، فالمجاز إذًا اسم للمكان الذي يُجَاز فيه، كالمَعاجِ والمَزَار وأشباههما. وفي (أساس البلاغة) «للزمخشري»: «جُزْتُ المكان وأَجَزْتُه، وجَاوَزْتُه وتجاوزتُه. ومنـــه قـــول «امرئ القيس»:

فَلَمَّا أَجَزْنَـــا سَـــاحَةَ الْحَـــيِّ وَانْتَحَـــى بنَا بَطْـــنُ خَبْـــتٍ ذِي خِفَـــافٍ عَقَنْقَـــلِ

وأعانك الله على إجازة الصراط، وهو مجاز القوم ومجازتهم، وعبرنا مجازة النهر وهي الجسر وجاز البيع والنِّكَاحُ وأجازه القاضي، وهذا مما لا يُجَوِّزه العقل» [١]. والمجاز على وزن (مَفْعَلْ) وهو من مشتق من جاز الشيء: إذا تعدَّاه. وقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات[٢] ومن أمثلة ذلك قوله(ﷻ):﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، قَالُوا يَا مُوسَى اِجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَومٌ تَجْهَلُونَ﴾[٣].

٢ـ٢ـ المجاز اصطلاحا:

هو الانتقال من مكان إلى مكان، فجُعل ذلك لنقل الألفاظ من محلٍّ إلى محلٍّ، كقولنا: (زيدٌ أسَدٌ) فزيدٌ إنسان، والأسد هو الحيوان المعروف، وقد جُزنا من الإنسانية إلى الأسَدِيَّة، أي عَبَرنا من هذه إلى هذه لوَصْلة بينهما وتلك الوصلة هي (الشجاعة). وحتى نقف على تطوُّر مفهوم كلمة(المجاز) ينبغي علينا أن نستعرِض قصَّة هذا الفنِّ ،فنقتفي أثر هذه الصورة ابتداءً بالرُّوَّاد ووصولا إلى المحدثين.

٣ـ آراء النقّاد القدماء في الصورة المجازية:

١ـ٣ ـ المجاز عند «الجاحظ » (المتوفى في ٢٥٥ هـ):

يبدو أنَّ «الجاحظ» هو أو من استعمل لفظ (المجاز) للدلالة على جميع الصور البيانية تارة، أو على المعنى المقابِل للحقيقة تارة أخرى، بل على معالم الصورة الفنية المستخلَصة من اقتران الألفاظ بالمعـــاني، فهـــو _ كمن عاصره _ يُعبِّر بالمجاز عن الفنون البلاغية: كالاستعارة والتشبيه والتمثيل والمجاز نفسه. ويتَّضِح هذا جليًّا في أغلب استعمالات «الجاحظ» البلاغية التي يُطلق عليها اسم المجاز، وقد انسحب هذا على المجاز القرآني لديه، «فالجاحظ» حينما يتحدَّث عن المجاز القرآني فإنه ينظر إليه من خلال قوله(ﷻ):﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَاكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤] ويُعدُّ هذا من باب المجاز والتشبيه على شاكلة قوله(ﷻ):﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[٥] وعنـــــده: «أن هذا قد يُقال

(١) أساس البلاغة: الزمخشري (محمود بن عمر)، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص٦٩

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيـــع، بيـــروت، د.ت، ص١٨٦

(٣) سورة الأعراف، الآية :١٣٨

(٤) سورة النساء، الآية:١٠

(٥) سورة المائدة، الآية:٤٢

لهم، وإنْ شربوا بتلك الأموال الأَنبذة، ولبسوا الحُلل، وركبوا الدَّواب، ولم يُنفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل، وتمام الآية﴿... إِنَّمَا يَاكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ مجاز آخر... فهذا كله مختلف وهو كله مجاز» [1]. ويبقى السبق «لأبي عبيدة معمر بن مثنى الليثي» (المتوفى ٢١٠ هـ) الذي وضع كتابا أسماه (مجاز القرآن) وهو كتاب لغة وتفسير مفردات، لا كتاب بلاغة وبيان، والدليل على ما أقول ما ساقه المحقق «فؤاد سيزكين» في المقدمة:« ومهما كان من أمر، فإنَّ « أبـا عبيدة » يستعمل في تفسيره الآيات هـذه الكلمات «مجاز» كذا و«تفسير» كذا و«معناه» كذا و«غريبه» و«تقديره» و«تأويله». على أن معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده عبارة عن الطريق التي يسلُكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعمُّ من المعنى الذي حدَّده علماء البلاغة لكلمة المجاز»[2]. «فأبو عبيدة» لم يَعْنِ في كتابه: (مجاز القرآن) المجاز الاصطلاحي بالمفهوم الذي عُرف به من بعده ولم يعن به أنه مقابل للحقيقة، وإنما عني بمجاز الآية: ما يُعبَّر به عن الآية.

٢ـ٣ـ المجاز عند «الرّمّاني» (المتوفى عام ٣٨٦ هـ):

لم يتحدث «الرّمّاني» عن المجاز صراحة، ولكنه تحدث عن (الاستعارة) التي هي من المجاز، وعدَّها أحد أقسام البلاغة العشرة، واكتفى بذكرها عن ذكر المجاز، وذلك يعني أنه يرى المجاز قسيما للحقيقة بصريح قوله:« وكلُّ استعارة حَسَنَةٍ، فهي تُوجب بيان ما لا تنوب منابه الحقيقة وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به، ولم تَجُز، وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى... ونحن نذكر ما جاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة»[3]. ومن أمثلة ذلك قوله (ﷻ):﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ، إِلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4]. ينظر «الرّمّاني» إلى المجاز في قوله (ﷻ) (ريبة) على أنه استعارة، ويُعقِّب على هذه الآيـة قائلا:« وأصل البنيان إنما للحيطان وما أشبهها، وحقيقة اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يُحَسَّنُ ويُتَصَوّرُ، وجعلُ البنيان ريبة، وإنما هو: ذو ريبة، كما تقول:هـو خبث كله، وذلك أبلغ من

(١) الحيوان: الجاحظ (عمرو بن بحر)، تح يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط٣، ١٩٩٠، ٥/ ١٧٨

(٢) مجاز القرآن (المقدمة): أبو عبيدة معمر بن المثنى، تعليق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١

(٣) الرّمّاني: النكت في إعجاز القرآن: الرماني (علي بن عيسى)، تح محمود خلف الله أحمد ومحمـد زغلـول سـلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص٨٦

(٤) سورة التوبة، الآية:١١٠

أن يجعله ممتزجا، لأن قوة الذَّمِّ للريبة، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يُراد به الإيجاز في العبارة فقط»[١]

والخلاصة أنَّ «الرّمّاني» يُعبِّر عن المجاز بالاستعارة بوصفها عملا مجازيا ليستدِلَّ على وقوع المجاز في القرآن من وجه، وعلى دلائل إعجاز القرآن من وجه آخر.

٣ـ٣ـ المجاز عند «ابن جنّي» (المتوفى عام ٣٩٢ هـ):

لقد أشار «ابن جني» في كتابه (الخصائص) إلى المجاز في عدة مواضع، لعلَّ أهمَّها ما يجعل فيها المجاز قسيما للحقيقة، مُتحدِّثا عنه، وعن خصائصه في إطارٍ بلاغي عامّ، قد يريد به التشبيه والاستعارة والمجاز في وقت واحد، وذلك حين يقول:«إن المجاز لا يقع في الكلام ويعدل عن الحقيقة إليه إلاَّ لمعانٍ ثلاثة هي: الاتِّساع والتَّوكيد والتشبيه، فإن عدِمت هذه الأوصاف الثلاثة كانت الحقيقةَ البتَّةَ»[٢].

٤ـ٣ ـ المجاز عند «أبي هلال العسكري» (المتوفى عام ٣٩٥ هـ):

ويُعدُّ «أبو هلال العسكري» من أعلام بلاغيِّي القرن الرابع الهجري، الذي نظر إلى المجاز بمعناه الـــواسع، وهو «كالرّمّاني» حين عدَّ الاستعارة مجازا أو عبَّر عن المجاز بالاستعارة، وقد أوضح رأيه بقوله:« **ولا بدَّ لكلِّ استعارة ومجاز من حقيقة، وهي أصل الدِّلالة على المعنى في اللغة**»[٣]. ومن الشواهد المجازية التي ساقها «أبو هلال العسكري» من القرآن الكريم قوله (ﷻ): ﴿**قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾[٤].

يقول «أبو هلال» مُعقِّبا على هذه الآية:« **حقيقته عَمِدنا، وقَدِمنا أبلغ، لأنَّه دلَّ على ما كان من إمهاله لهم، حتى كأنَّه كان غائبا عنهم، ثم قَدِم فاطَّلع على غير ما ينبغي فجازاهم بحسَبه، والمعنى الجامع بينهما العدل في شدَّة النَّكير، لأنَّ العمْد إلى إبطال الفساد عدلٌ، وأما قوله:(هباء منثورا) فحقيقته؛ أبطلناه حتَّى لم يحصل منه شيء، والاستعارة أبلغ لأنه إخراج ما لا يُرى إلى ما يُرى** »[٥]. ولم يبتعد «أبو هلال» كثيرا عمَّا ساقه «الرّمّاني» من شواهد، بل نقل بعضها حرفيا. والذي يَهمُّنا أنَّ «أبا هلال» جعل المجاز قسيما للحقيقة، وعدَّ الاستعارة مجازا، وكانت تطبيقاته في هذا المنهج استعارات القرآن الكريم.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن: الرماني، ص٩١

(٢) الخصائص: ابن جني، تح محمود علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص٨٦

(٣) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٢٩٩

(٤) سورة الفرقان، الآية:٢٣

(٥) كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص٣٠٠

٥-٣- المجاز عند «عبد القاهر الجرجاني» (المتوفى عام ٤٧١ هـ):

يُعرِّف «عبد القاهر الجرجاني» المجاز بقوله: « **كلُّ كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها فهي مجاز، وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُزت بها ما وقعتْ لهُ في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أنْ تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تَجُوز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضِعت له في وضع واضعها فهي مجاز، ومعنى (الملاحظة) هو أنها تستند في الجملة إلى غير الذي تريده بها الآن، إلا أن هذا الاستناد يقوى ويضعف** »[١]. ويُضيف «عبد القاهر الجرجاني» في تعريفه للمجاز: « **أنَّه على زِنة (مفْعَل) من جاز الشيء يجوزه إذا تعدَّاه، وإذا عُدل باللفظ عمَّا يُوجبه أصل اللغة وُصِف بها بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وُضِع فيه أوَّلا** »[٢].

و«عبد القاهر» هو الذي وضع (المجاز) في شكله المنضبط، إذ قسَّمَه إلى مجاز لغوي وعقلي، فيقول:« **واعلم أن المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في النِّعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسَّبُع المعروف كان حُكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك: إما تشبيها، وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه. ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازا من طريق المعقول دون اللغة** »[٣]. وهو من قَسَّم المجاز اللغوي إلى الاستعارة، وإلى ما يُسَمَّى بالمجاز المُرسَل، وجعل الفاصل بينهما علاقة المشابهة التي هي شرط في إقامة الاستعارة.

٦-٣ - المجاز عند «السكَّاكي» (المتوفى عام ٦٢٦ هـ):

يُعرِّف «السكَّاكي» المجاز بقوله: «**وأمَّا المجاز فهي الكلمة المُسْتَعمَلَة في غير ما هي موضوعة له بالتَّحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النَّوع** [٤]. ويقول في موضع آخر:« **وسمي المجاز مجازا لجهة التناسب، لأن المجاز(مَفْعَلْ) من جاز المكان، يجوزه إذا تعداه، والكلمة إذا استعملت في غير**

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص٣٠٤

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٢

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٣٥٥

(٤) مفتاح العلوم: السكَّاكي، ص١٥١

ما هي موضوع له، وهو ما تدل عليه بنفسها، فقد تعدت موضعها الأصلي »[١]. وقد قَسَّم «السكَّاكي» المجاز إلى: « **استعارة وغيرها، وعَرَّف الاستعارة: بأن تَذْكُرَ أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مُدَّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، وقسَّم الاستعارة إلى المصرَّح بها، والمُكنَّي عنها، وعني بالمصرَّح بها بأن يكون المذكور من طرف التشبيه هو المشبه به؛ وجعلها ثلاثة أضرب: تحقيقية، وتخييلية، ومحتملة للتحقيق والتخييل، وعدَّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها »**[٢]. « **والمجاز مُرسلٌ، إن كانت العلاقة غير المشابهة وإلاَّ فاستعارة، وكثيرا ما تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فهما مستعار منه ومستعارٌ له واللَّفظ مستعار، والمُرسل كاليد في النعمة والقدرة والرَّاويَّة في المزادة... »**[٣]. ثم يذكر «السكَّاكي» علاقات المجاز المرسل المتعددة.

٧ـ٣ ـ المجاز عند « ابن الأثير» (المتوفى عام ٦٣٧ ه):

يقول «ابن الأثير» في تعريف المجاز: «**أما المجاز فهو ما أُريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطَّاه إليه. فالمجاز إذًا اسم للمكان الذي يُجاز فيه، كالمعاج والمزار وأشباههما، وحقيقة الانتقال من مكان إلى مكان، فجُعِل ذلك لنقل الألفاظ مـــن محل، كقولنا: (زيدٌ أسدٌ) فإن زيدًا إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف، وقد جزنا من الإنسانيـــة إلى الأسدية، إي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة »**[٤] كما مرَّ بنا. ويزيد «ابن الأثير» كلامه توضيحا:« **فإطلاق لفظ (الشمس) على الوجه المليح مجاز، وإطلاق لفظ (البحر) على الرجل الجواد مجاز أيضا، فلفظ (الشمس) له دلالتان: إحداهما حقيقية، وهي هذا الكوكب العظيم المعروف، والأخرى مجازية وهي الوجه المليح، وللفظ (البحر) دلالتان أيضا إحداهما هذا الماء العظيم الملح، وهي حقيقة، والأخرى: هذا الرجل الجواد وهي مجازية... والمرجع في هذا إلى أصل اللغة التي وُضِعَتْ فيها الأسماء على مسمَّياتها، ولم يوجد فيهـــا أن الوجـــه المليح يُسمَّـــى (شمسا) ولا أن الرجل الجواد يسمى(بحرا) وإنما**

---

(١) المرجع نفسه، ص١٥٢

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (جلال الدين)، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٤، ١٩٧٥، ٢/٤٤٠

(٣) التلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (جلال الدين)، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيـــروت، ١٩٠٤، ص٢٩٥-٢٩٧

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ضياء الدين)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩، ١/٥٨

أهل الخِطابة والشِّعر هم الذين توسعوا في الأساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة إلى المجاز. ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل اللغة ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسُّعات المجازية »[1]. و«ابن الأثير» – كسابقيه – جعل المجاز قسيما للحقيقة كذلك. وركَّز على معنى انتقال اللَّفظ من محل إلى محل، وكان «ابن الأثير» أكثر توضيحا في أمثلته، ورد نقل الحقيقة إلى المجاز على سبيل التَّوسُّع في الأساليب المعنوية وذلك من قبل أهل الخطابة والشعر ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل اللغة.

٨-٣- مفهوم المجاز عند المحدثين:

لقد كان «عبد القاهر الجرجاني» _ ولا يزال _ محط أنظار الدارسين المحدثين من العرب والغرب، وكان كتاباه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) محل دراسات مستفيضة من قبل علماء الأسلوبية والألسُنِيَّة. ومن ثم فإن دراسة الصورة المجازية عند المحدثين، لا تتناول الألفاظ بوصفها مفردات مُعجميَّة، وإنما تتناولها بوصفها عناصر متداخلة في تركيب لغوي مفيد. ويجد المحدثون ضالتهم وبخاصة علماء الدلالة والأسلوبية في مقولة «لعبد القاهر الجرجاني» في كتابه (دلائل الإعجاز) حيث يقول: «**... وإذا عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك** »[2]. ويُوضِّح «صبحي البستاني» هذه المقولة بالرسم البياني التالي:

لفظ ⟵ معنى ⟵ معنى المعنى (عند عبد القاهر)

ويسوق هذا المفهوم إلى مفهوم جديد عند المحدثين، قد يستعملون التوضيح التالي:

دال ⟵ مدلول (أول) ⟵ مدلول (ثان)

المعنى الحقيقي المعنى المجازي

فالمدلول الأصلي المُعجَمي هو المدلول الأول، بينما المجاز هو في المدلول الثاني »[3]. ونلاحظ أن علماء البلاغة المحدثين قد ركَّزوا على عملية (الانتقال) التي عدُّوها جوهر علم البيان. ويرى «جاكبسون» أنَّ عملية الانتقال المُشار إليها تتم من خلال محورين دلاليَّين مختلفين، فإمَّا بواسطة المشابهة وإمَّا بواسطة المجاورة، فنتكلَّم على الاستعارة في المحور

(١) المرجع نفسه، ٦١/١

(٢) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٠٣

(٣) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٦٢

الأول، وعلى المجاز المرسَل في المحور الثاني »[١]. وبعد استعراض هذه الآراء المتَّفقة أحيانا، والمتباينة أحيانا، والسؤال المتداول والذي تردَّد في كتب البلاغة القديمة: أيُّهما أبلغ الحقيقة أو المجاز؟.

وللإجابة عن هذا السؤال، أستعرِضُ بعض آراء علماء البلاغة القدماء التي تكاد تتَّفق في مجموعها على أن المجاز أبلغ من الحقيقة. وفي مقدمة هؤلاء نجد «ابن رشيق» في كتابه:(العمدة) حين يقول: « **والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وأنَّ العرب كثيرا ما تستعمل المجاز في كلامها وتَعُدُّه من مفاخرها، وهو دليل الفصاحة ورأس البلاغة، وبه بانت لغتهم عن سائر اللغات** »[٢]. والمجاز عند «عبد القاهر الجرجاني» « **كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحساس والاتساع في طريق البيان، ولا يغرَّنَّك من أمره، أنَّك ترى الرجل يقول: (أتى بي الشوق إلى لقائك) و(سار بي الحنين إلى رؤيتك) و(أقدمني بلدَك حقٌ لي على إنسان) مما تجده لشهرته، يجري مجرى الحقيقة؛ فليس هو كذلك، بل يدقُّ ويلطُف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها** »[٣]. ويصرِّح «السكَّاكي» كذلك بأن المجاز أبلغ من الحقيقة، فيقول«**واعلم أنَّ أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني متفقون على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة، وأنَّ الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأنَّ الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر** »[٤].

٤- المجاز بين القائلين به والمنكرين له:

لقد كثُر الخلاف حول المجاز بين الأدباء والنقاد والبلاغيين وعلماء الكلام وعلماء الأصول والفقهاء، وانقسموا قسمين: قسم يقول بالمجاز ويدافع عنه، وقسم ينفيه ويعدُّ كل كلام العرب حقيقة لا مجاز فيه. وأنا أسوق آراء القائلين به وحججهم، ثمَّ أسوق آراء المنكرين له وحججهم.

٤-١ ـ القائلون بالمجاز:

فهم يرون أنَّ المجاز من أحسن الوسائل البيانية، إذ يخرج به المعنى متصفا بصفة حِسِّية تكاد تعرِضه على عيان السَّامع، ولهذا شُغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في

(١) المرجع نفسه، ص٦٥

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق (أبو علي بن الحسن القيرواني)، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٨٦، ٢٣٢/١

(٣) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص٢٢٨-٢٢٩

(٤) مفتاح العلوم: السكَّاكي، ص١٧٤-١٧٥

الكلام، وللدِّلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريَحِيَّةٌ، ولأمر ما كثُر في كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزيَّنوا به خطبهم وأشعارهم.

ويسوق «ابن رشيق» مقولة من كلام «ابن قتيبة» في المجاز، القائل:« **لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلا؛ لأنا نقول: نبت البقل وطالت الشَّجرة، وأينعت الثَّمرة وأقام الجبل ورخُص السِّعر... ونقول: كان الله، وكان بمعنى حدث، والله قبل كل شيء** »[1].

ومن الفرق الكلامية التي قالت بالمجاز، (المعتزلة)، وقد رأينا الجاحظ _ فيما سبق _ ورأينا موقفه من المجاز وأنه أوَّل القائلين به فيما يبدو لي. « **فالمعتزلة هم أول من ولج هذا الباب، وكانت اللغة عندهم أداة طيِّعة تحتمل وجوها من التأويل وظهرت ألفاظ التَّوحيد والتَّنزيه والتَّشبيه والتَّجسيم، وكانت هذه الصفات محور مناقشاتهم وجدلهم. والمعتزلة هم الذين حَمَلوا الآيات على المجاز وأوَّلوها بما يوافق آراءهم، حيث تأوَّلوا الوجـــه بمعنى الرضا، واليد بمعنى القدرة أو النعمة ونحوهما، جريا على مذهبهم من نفي الصفات عن الله (ﷻ) حتى قالوا: إنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر، وزادوا على هذا أنه تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة**»[2]. والحقيقة أنَّ أغلب العلماء والبلاغيين والفقهاء يقولون بالمجاز، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: **قدامة بن جعفر والمبرّد، وابن قتيبة، والرّمّاني، وابن جني، وابن المعتز، وأبا هلال العسكري، وابن رشيق، والسيوطي، وعبد القاهر الجرجاني، والسكّاكي، وابن الأثير، والقزويني وغيرهم كثير.** وأدلتهم وحججهم مبثوثة في بطون الكتب، وأختار من مجموعهم ردَّ «عبد القاهر الجرجاني» على المنكرين للمجاز بقولـــه: « **ومن قَدَح في المجاز، وهَمَّ أن يصفه بغير الصِّدق فقد خبط خبطا عظيماً وتهدَّف لما لا يُخفى، ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به حتى تَحْصُل ضروبه، وتُضبَط أقســامـــه إلاَّ للسَّلامة من هذه المقالة، والخلاص مما نحا نحو هذه الشُّبهة... فكيف وبطالب الدِّين حاجة ماسَّة إليه من جهات يطول عدُّها، وللشَّيطان من جانب الجهل به مَداخِل خَفيَّة يأتيهم منها فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون، ويُلقيهم في الضلالة من حيث ظنوا أنهم يهتدون؟ وقد اقتسمه البلاء فيه من جانبي الإفراط والتفريط... أما التفريط، فما تجد عليه قوما في نحو قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَاتِيَهُمْ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ...﴾** [3]. **وقوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾** [1] **و ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ**

(١) العمدة: ابن رشيق،٢٣٢/١

(٢) الفَرق بين الفِرق: البغدادي، تح محمد بدر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٠، ص٦٨

(٣) سورة البقرة، الآية:٢١٠

اسْتَــوَى﴾ [٢]. **فإذا قيل لهم: إنَّ الإتيان والمجيء انتقال من مكان إلى مكان، وصفة من صفات الأجسام، وأن الاستواء ـ إن حُمِل على ظاهره ـ لم يصحَّ إلاَّ في جسم يَشغُل حيِّزًا ويأخذ مكانا، والله (ﷻ) خالق الأماكن والأزمنة، ومنشئ كل ما تصح عليه الحركة والنقلة والتمكن والسكون، والانفصال والاتصال، والمماسَّة والمحاذاة، وأنَّ المعنى على (إلاَّ أن يأتيهم أمر الله) في الآية الأولى، و(جاء أمر ربك) في الثانية** [٣].

ويضيف «عبد القاهر الجرجاني»: «**وأنه إذا كان لا يجري في قوله (ﷻ):﴿واسأل القرية...﴾ على الظاهر لأجل علمه أنَّ الجماد لا يُسأل، مع أنه لو تجاهل متجاهل وادَّعى أن الله تعالى خلق الحياة في تلك القرية حتَّى عقلت السؤال وأجابت عنه ونطقت، لم يكن قال قولا يكفَّر به، ولم يزد على شيء يُعلَم كذبه فيه**[٤]. ويضيف أيضا في ردِّه على المنكرين للمجاز: « **وأمَّا الإفراط فيما يتعاطاه قوم يحبون الإغراب في التأويل ويحرِصون على تكثير الوجوه وينسون أن احتمال اللفظ شرط في كلِّ ما يُعدلُ به عن الظاهر... فهم يدعون السليم من المعنى إلى السقيم ويرون الفائدة حاضرة فيعرِضون عنها حبا للتشوُّف وقصدا إلى التمويه وذهابا في الضلالة**»[٥].

وختاما يُبيِّن «عبد القاهر» غرضه فيقول: « **وإنما غرضي مما ذكرت، أن أُريَّك عِظم الآفة على الجهل بحقيقة المجاز وتحصيله، وأنَّ الخطأ مُورِّط صاحبه؛ وفاضح له ومسقِط قدره، وجاعله ضحكة يُتفكَّه بـــه، وكاسبه عارًا يبقى على وجه الدَّهر** »[٦]. والمعروف عن الإمام «عبد القاهر الجرجاني» أنه أشعريُّ الانتماء، متحمِّس للدفاع عن إعجاز القرآن، وقد اختلف مع المعتزلة والظاهرية، ويعود له الفضل بما قدَّمه من مجهود بلاغي تمكَّن من خلاله أن يقيم توازنا بين النظم القرآني والشعر العربي وعلى الرُّغم من أنه كان يهدف في دراساته إلى الدفاع عن إعجاز القرآن. وأنا أكتفي برأي الإمام «عبد القاهر الجرجاني» ولا أدخل صراعا فلسفيا، وألج بابا من الجدل والخلاف أنا في غنى عنه، وأعني به الجدل الذي دار بين الفرق الكلامية حول المجاز، وأتجاوز الآراء ذات الصلة بالموضوع لكثرتها ومن أراد أن يستزيد فعليه الاطلاع على المراجع التي تناولت هذا الجدل.

---

(١) سورة الفجر، الآية:٢٢

(٢) سورة طه، الآية:٥

(٣) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص٣٣٩-٣٤٠

(٤) المرجع نفسه، ص٣٤٠

(٥) المرجع السابق نفسه، ص٣٤٠

(٦) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، ص٣٤١

٤-٢ ـ المنكرون للمجاز:

وهم قلَّة موازنة بالقائلين به، فمن الفرق الكلامية التي أَنْكَرَتْ المجاز: « **الظاهرية وابن القاص من الشافعية، وابن خويز منداد مـــن المالكية. وشُبهتهم أنَّ المجاز أخُ الكذب، والقرآن منزَّه عنه، وأنَّ المتكلِّم لا يَعدِل إليه إلاَّ إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى** »[١]. وهذه الطائفة تنكر المجاز في القرآن، وتشبِّهُه بالكذب، والقرآن منزَّه عن ذلك، غير أنَّ «السيوطي» يَرُدُّ شبهتهم بقوله: « **وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خُلُوُّ القرآن من المجاز وجب خُلوُّه من الحذف والتوكيد وغيرها...**» [٢]. ومنهم كذلك «ابن تيمية » (المتوفى عام ٧٢٨هـــ). ففي كتابه (الإيمان) يُعرِّج الْمُؤَلِّف على فكرة الحقيقة والمجاز، فَيُبَيِّنُ أنَّ هذا التقسيم لم يُعرف إلاَّ بعد مُضَيِّ ثلاثة قرون على الهجرة، وأنه لم يشر إليه أحدٌ من الأئمة المشهورين: كمالك وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة كالخليل وسيبويه. لقد عدّ شيخ الإسلام المجاز دون مسوّغ أمرا حادثا وفنا عارضا ويُستخلص بأنه ليس من فرق معقول بين الحقيقة والمجاز لأنَّ اللفظ لا يستعمل إلاَّ مُقيَّدا بقيود لفظية موضوعية، وحال السامع والمتكلم لا بد من اعتباره.

ويرى «ابن تيمية» أنه لا بد في تفسير القرآن والحديث من معرفة اللغة العربية لمعرفة مراد الله ورسوله « **وكذلك معرفة دِلالة الألفاظ على المعاني. فإنَّ أكثر ضَلال أهل البدع جاء من هذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعون أنه دالّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذه الدِّلالة حقيقة، وتلك مجازا، وأخذوا يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأوَّلوه من اللغة، ولا يعتمدون على السُّنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم ولا على كتب التفسير المأثورة وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وعلى كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤساؤهم، ولهذا كان الإمام أحمد ابن حنبل يقول: « أكثر ما يَخطِئ الناس من جهة التأويل والقياس**» [٣]

ولا أريد أن أناقش «ابن تيمية» في نفيه مصطلح المجاز في القرون الثلاثة الأولى، في حين استعمله كل من «الجاحظ» (المتوفى عام ٢٥٥هـــ) و«ابن قتيبه» (المتوفى عام ٢٧٦

---

(١) الإتقان في علو القرآن: السيوطي (جلال الدين)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع صيدا، بيروت، ١٩٨٨، ١٠٩/٣

(٢) المرجع نفسه، ١٠٩/٣

(٣) كتاب الإيمان: ابن تيمية، تح حسين يوسف الغزال، طبع دار إحياء العلوم، بيـــروت، لبنـــان، الطبعـــة الثانيـــة، ١٩٨٥، ص١٠١-١٠٣

هـ) وهما من أعلام القرن الثالث، ولا أجادله بهذا لِوُضوح وُرُودِه، لأنَّ «ابن تيمية » لا يحتجُّ بكلامهما لأنهما من أهل اللغة والأدب وأهل الكلام، وإنما الاعتماد كل الاعتماد عند شيخ الإسلام على أهل السنة وإجماع السلف.

ومن المحدَثين الذين أنكروا المجاز نجد «لطفي عبد البديع» الذي فصَّل في مسألة الحقيقة والمجاز، ورَدَّ على القائلين بالمجاز ابتداءً «بالجاحظ» ووصولا إلى «عبد القاهر الجرجاني»، كما أنَّه ردَّ على (المعتزلة) ردًّا عنيفا وبخاصة «الزَّمخشري» في تفسيره (الكشَّاف) وتأويله بعض الآيات التي خالف فيها منهج السَّلف الصالح، وتَأوَّلَها بما يُوَّافِق منهجه. يقول «لطفي عبد البديع»: « **والمعتزلة إنما استهوتهم المعاني لأنَّها تُسَاوِقُ ما جنحوا إليه من تجريد وما عوَّلوا عليه من دعوى العدل والتوحيد، حتى حملوا كل ما خالف أصلا من أصولهم على المجاز، وصرفوه عن ظاهره** »[1] ويرى أن التأويل في القرآن الكريم صرَف للَّفظ عن حقيقته التي ورد بها في التنزيل فيقول: « **والذين يهجمون على الآيات بالتأويل يطفئون جذوة التَّوتُّر الذي يقتضيه الوحي من حيث إنه يجعل من الوجود الإنساني وُجودًا آخر له تعلُّق بالسماء يعي الكلمة النازلة منها على نحو ما تقتضيه صفتها الإلهية ويقيسها بذلك لا بقياس المعقول والمحسوس** »[2].

٥ ـ أنواع الصورة المجازية في المِدحة النبوية عند حسَّان بن ثابت:

لقد مرَّ بنا أنَّ الإمام «عبد القاهر الجرجاني» هو أول من و ضع (المجاز) في شكله المنضبط، بعد أن كان في السابق قسيما للحقيقة. وإذا أُطلِق فإنه يدل على مختلف الأوجه البلاغية من كناية واستعارة، وهناك من علماء البلاغة من يُقصِره على الاستعارة فقط كما مرَّ بنا، وهناك من يعدُّه في علم البديع وقد آثر بعضهم عدَّه من مباحث علم المعاني. ويعود الفضل_كل الفضل_ إلى إمام البلاغيين وعميدهم «عبد القاهر الجرجاني» لكونه أول من بيَّن حدَّه (المجاز) ثمَّ قسَّمه إلى ضربين:

- مجاز من طريق اللغة (ويسمى كذلك المجاز اللفظي واللغوي) وهو نوعان: مجاز مرسلٌ واستعارة.
- ومجاز عن طريق المعنى والمعقول وهو المجاز العقلي.

---

(١) فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث: لطفي عبد البديع، طبع مشترك مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٧، ص٤٣

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧

ويُفرِّق الإمام «عبد القاهر» بين النَّوعين (اللغوي والعقلي)، بأنه متى وُصفت الكلمة المفردة بالمجاز فهو مجاز لغوي، ومتى وُصف المجاز بالجملة من الكلام فهو مجاز عقلي.

وقد بيَّن علماء البلاغة بعد «عبد القاهر الجرجاني» المراد من المجازين: **العقلي واللغوي** وحدَّدوا علاقات كلٍّ منهما.

٥ـ١ ـ تعريف المجاز العقلي:

وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. والمجاز العقلي، كما عرَّفه «السكَّاكي» « **هو الكلام المُفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرْب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع، كقولك: أنْبتَ الرَّبيع البَقل، وشَفَى الطَّبيبُ المريضَ، وكسا الخليفةُ الكعبَةَ، وهَزمَ الأميرُ الجُنْدَ، وبنى الوزيرُ القصرَ**» [١]. وعرَّفه «الخطيب القزويني»: بقوله: « **هو إسناد الفعل أو معناه إلى مُلابِس له غير ما هو له بتأويل**» [٢]. وللفعل ملابسات شتىَّ: يُلابِس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب. وهذا النَّوع من المجاز يسميه «عبد القاهر الجرجاني» (المجاز الحِكَمي) ويسمِّيه بعض البلاغيين (المجاز الإسنادي) أو(الإسناد المجازي). قلنا :إنَّ المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه، إلى غير صاحبه، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي. ويُقصد بعبارة (ما في معناه): المصدر، اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبَّهة واسم التَّفضيل... وهي مشتقَّات تعمل أحيانا عمل الفعل.

٥ـ٢ ـ علاقات المجاز العقلي:

أمَّا العلاقة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي فأشهرها ستٌّ، وهي: المكانية، والزمانية، والسببية، والمصدرية، والفاعلية، والمفعولية.

أ – **المكانية**: وفيها يُسند الفعل أو ما في معناه إلى مكان المُسند إليه. ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم، في قوله (ﷻ):﴿**وَعَدَ اللهُ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الانْهَارُ...**﴾ [٣]. فالفعل(تجري) أُسند إلى غير فاعله الحقيقي وهو (الأنهار) فالأنهار لا تجري لأنَّها أَمْكِنة جامدة، والذي يجري حقيقة هو الماء، والعلاقة التي سوَّغت

(١) مفتاح العلوم: السكَّاكي، ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ٩٨/١

(٣) سورة التوبة، الآية:٧٢

هذا الإسناد هي(المكانية). والقرينة التي منعت من عدِّ هذا الإسناد الحقيقي، إدراكنا بالعقل أن المكان لا يجري بل الذي يجري هو المياه التي تحلُّ فيه.

ب- الزمانية: وفيها يُسند الفعل أو ما في معناه، إلى زمان حدوث الفعل ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم، في قوله (ﷻ): ﴿ **وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾[1]. ومعنى (سجى) سكن. ولكن اللَّيل لا يسكن، وإنما تسكن حركات الناس فيه، فأجرى سبحانه (ﷻ) صفة السُّكون عليه، لمَّا كان اللَّيل الزمن الذي يقع فيه السكون.

ومن أمثلة ذلك في الشعر قول «المتنبي»:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا ... وَعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا

وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْ ... هُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِي ... هِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً ... رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

وفي هذه الأبيات أربعة مجازات عقلية: فقد أسند الشاعر السرور للزمان في البيت الثاني...، وحُسن الصَّنيع وتكدير الإحسان للَّيالي في البيت الثالث... ثم عاد فأسند إثبات القناة للزَّمان في البيت الرابع... وكل ذلك على سبيل المجاز، فالزمان والليل أمران معنويان، نعرفهما بالعقل لا بالحواس ولا قدرة لهما بالتالي على الفعل... ولذا لم يجئ إسناد السرور وحُسن الصنيع وتكدير الإحسان وإثبات القناة إليهما إسنادًا حقيقيا... بل هو مجازعلاقته الزمنية.

ج - السببية: وفيها يُسند الفعل أو ما في معناه إلى سببه ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم، في قوله (ﷻ):﴿ **إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ،وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [2]

فالمجاز هنا عقلي، والعلاقة سببية، إذ أُسندت زيادة الإيمان التي هي من فعل الله (ﷻ)إلى الآيات لكونها سببا في الزيادة.

د _ المصدرية: وفيها يُسند الفعل إلى مصدره، ومن أمثلة ذلك قول «أبي فراس الحمداني»:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ ... وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

---

(١) سورة الضحى، الآيتان:١ و٢

(٢) سورة الأنفال، الآية:٢

ففي قول الشاعر(جدّ جَدُّهم) أُسند الفعل **(جد)** إلى مصدره **(جدهم)** بينما الذين يَجدُّون حقيقة هم القوم الذين سيذكرونه ويفتقدونه، ولذا اعْتُبِر الفعل قد أُسند إلى غير فاعله الحقيقي، مجازا والعلاقة (المصدرية).

هـ _ الفاعليـــة: وفيها يُسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، أي يُستعمل المفعول والمقصود هو اسم الفاعل. ومن أمثلة ذلك قوله (ﷻ):﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ (١) فقوله (ﷻ) (مستورًا) جاء على سبيل المجاز، لأنَّ الحجاب بطبيعته إنما يكون ساترا لا مستورا، وهذا هو المعنى الحقيقي، لكن اسم المفعول حلَّ محلَّ اسم الفاعل، فالعلاقة إذًا هي **(الفاعلية)**.

و- **المفعولية:** وفيها يُسند الوصف المبني للفاعل إلى المفعول، أي يُستعمل اسم الفاعل والمقصود اسم المفعول. ومن أمثلة ذلك قوله(ﷻ): ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ** ﴾ (٢) أي مرْضِيَّة. ونحو قول «الحطيئة» في هجاء «الزّبْرِقان بن بدر» :

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فإنّك أنت الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فقد أسند الشاعر إلى ممدوحه صفتين إيجابيتين تنِمَّان على الكرم والجود بصيغة اسم الفاعل ولكن الشاعر لم يكن يقصد ذلك المعنى، وإنما كان هدفه الهجاء، بإسناده الوصف المبني للفاعل إلى المفعول وهو إسناد مجازي علاقته المفعولية، ويقصد بالطاعم الكاسي المُطعَم المكسو. ومما ينبغي الإشارة إليه، خلو المِدحة النبوية عند حسَّان بن ثابت، من هذا النوع من المجاز، وهو المجاز العقلي، إذ لم يوظِّف الشاعر أي نوع من هذه الصور مطلقا. وبعد استقراء جميع أبيات (المُدَوَّنة) لم أعثر ولو على صورة مجازية عقلية واحدة.

٥-٣ ـ المجاز اللغوي:

وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له أصلا لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهذا المجاز يكون في المفرد كما يكون في التركيب. وهو نوعان:

أ - **استعارة** : وهي ليست موضوع الدراسة، وتحتاج إلى بحث مستقل.

ب- مجاز مرسَل: وعلاقته_ كما يعرِّفها البلاغيون_: هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيَصِحُّ الانتقال من الأول إلى الثاني، وهي في المجاز إما المشابهة فتكون استعارة، وإما غير المشابهة فيكون المجاز مُرْسَلاً. والقرينة في عُرف

(١) سورة الإسراء، الآية:٤٥

(٢) سورة الحاقة، الآية:٢١

البلاغيين، هي الأمر الذي يَصرف الذهن عن المعنى الوضعي إلى الوضع المجازي، وهي إمَّا لفظية وإمَّا عقلية.

٦ـ صورة المجاز المرسل في المِدحة النبوية عند حسَّان بن ثابت:

٦ـ١ ـ تعريف المجاز المرسل:

هو مجاز لغوي علاقته غير المشابهة. أو هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. وسُمي مرسلا لإرساله مع التقيُّد بعلاقة المشابهة، أي أُطلق فلم يُقَيَّدْ بعلاقة واحدة مخصوصة وإنَّما له علاقات كثيرة تُدرك من خلال الكلمة التي تُذكر في الجملة. وأشهر هذه العلاقات: السَّببية، والمسبِّبية، والجزئية، والكلية، واعتبار ما كان (الماضوية)، واعتبار ما سيكون (مستقبلية)، والمحلية، والحالية، والآلية... وصورة المجاز المرسل عند المحدثين تقوم على استعمال كلمة تدل على حقيقة (أ) هذه الكلمة تحل محل كلمة ثانية تدل على حقيقة (ب) وجاءت عملية الاستبدال هذه نتيجة (للمجاورة) أو للوجود وللارتباط الذي يجمع (أ) و(ب) في الواقع أو في الفكر. ولتوضيح هذه العلاقة، وتأكيد هذا المفهوم الحديث لصورة المجاز المرسل نلاحظ ما يلي، وذلك من خلال قول حسَّان بن ثابت في مقدمة طللية تمهيدا لمدح الرسول (ﷺ) يَذكر فيها الشاعر ديار بني الحسحاس التي أصبحت أثرا بُعيد عين.

دَيَّارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

أ – **اللاَّملاءمة بين بعض الألفاظ:** إن العلاقة التي تربط الفعل (تُعفِّي) والفاعل (الروامس) وهي الرياح وهي علاقة ملاءمة فالرياح فعلا تزيل آثار الديار، ولكن العلاقة بين الفعل (تُعفي) والمعطوف على الفاعل (السَّماء) الذي هو في اللغة يأخذ الحكم الإعرابي نفسه للمعطوف عليه، ويُفيد مطلق الاشتراك بين المتعاطفين، لأن أداة العطف هي (الواو) وهي علاقة لا ملاءمة، لأنه لا يجوز منطقيا أن تقوم (السماء) بالفعل (تُعفِّي) ويَفرض هذا الانحراف الظاهر في التركيب بين الفعل والاسم المعطوف عدم الأخذ بالدِّلالة الاصطلاحية للفظ (السماء) لأنه لا يؤدي من خلاله دلالة مفيدة.

ب – إزالة الانحراف: إنَّ إزالة الانحراف المشار إليه سابقا من خلال انتقال الدلالة في لفظ (السماء) لو استبدلنا بها بلفظ (المطر) يستقيم المعنى ويزول كل انحراف في البيت السابق:

تعفّيها الرّوامس والسّماءُ

والمطر

فالشاعر لا يريد السماء المعروفة ولكن يريد المطر النَّازل من السماء، فلفظ المطر يكون أكثر انسجاما مع لفظ الروامس، فالرياح والأمطار هي التي تعفِّي الآثار وترمسها.

ج – عملية انزلاق بين لفظتين: نلاحظ أن اللفظة التي كانت تؤمِّن الانسجام والملاءمة في الجملة سقطت لتحلَّ محلَّها لفظة أخرى غريبة عن السياق تُخل بهذا الانسجام، ولكن بإمكانها آداء معنى اللفظة السَّاقطة، ولذلك انتقلت الدلالة في لفظة (السماء) من معنى أول اصطلاحي إلى معنى ثان مجازي يلائم السياق العام. ومن ذلك من خلال الترسيمة التالية:

الدال ← المدلول (١) ← المدلول (٢)

السماء ← الجو، الفضاء ← القَطْرُ، المطر

ويبدو المجاز هنا كأنه عملية انزلاق بين لفظة وأخرى، بحيث انزلقت لفظة (المطر) لتحل محلها لفظة (السماء) الغريبة عن السياق.

د – علاقة المجاورة: إنَّ كل عملية انتقال في الدلالة أو عملية (انزلاق) لا يمكنها أن تتم دون علاقة بين المدلول (١) والمدلول (٢) أو بين اللفظة المنزلِقة (السماء) واللفظة الحالَّة محلَّها (المطر)، إذ لا يمكننا أن نلمح علاقة المشابهة بين (المطَر) و(السماء) لأنه لا تُوجد وحدات معنوية مشتركة بينهما كما هي الحال في الصورة الاستعارية، وعلى الرُّغم من ذلك لا بدَّ من وجود علاقة تبرز هذا الانتقال، وتجعله قابلا للفهم والإدراك. إنَّ ما يجمع (السماء) (بالمطر) هو المجاورة أو المقاربة وتكمن المجاورة في أن (السماء) هي سبب نزول (المطر) فالانتقال لم يكن اعتباطيا وإنَّما كان منضبطا ضمن إطار (المجاورة) في علاقة يمكن أن نطلق عليها اسم (العلاقة السببية) بحيث تكون السماء السبب في نزول المطر، وعلى مثل هذا النوع من انتقال الدلالة نطلق اسم صورة المجاز المرسَل.

٦-٢- علاقات صورة المجاز المرسل في المِدحة النبوية عند حسَّان بن ثابت:

لقد وردت في مُدَوَّنة المدح النبوي عند حسَّان بن ثابت سبعة مجازات مرسلة ويمكن تصنيفها حسب علاقاتها كالآتي:

٦-٢-١-علاقة السببية:

وذلك أنْ يُطلق المتكلم لفظ السبب ويريد المُسَبَّب، ومثال ذلك قول حسَّان في وصف ديار بني الحسحاس كما مر بنا في الشرح.

دَيَّارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

أراد الشاعر أن يشير إلى سبب زوال الديار، وكيف تحوَّلت من عِمران إلى خراب، فلم يستخدم اللفظ الذي يدلُّ على هذه الحقيقة، بل عمِد إلى التعبير عنها مجازا بلفظة **(السماء)**

آخذا بعين الاعتبار علاقة المجاورة بين المطر والسماء، فالسماء هي سبب نـزول المطـر، ومن ثمَّ سُميت العلاقة سببية.

٦-٢-٢- علاقة الجزئية:

وذلك أن يُطلق المتكلم لفظ الجزء ويريد به الكل، ومن أمثلة ذلك في المِدحة النبوية قـول حسَّان بن ثابت:

فَـنُحْكِمُ بِـالْقَوَافِي مَـنْ هَجَانَـا وَنَضْـرِبُ حِـينَ تَخْـتَلِطُ الـدِّمَاءُ

فقول الشاعر (نحكم بالقوافي) يريد أننا نمنع بقوافينا اللاَّذعة المفحِمة من تصدَّى لقتالنا، وقد استعمل الشاعر لفظ (القوافي) وأراد (الشعر) فقد عبَّر بالجزء عن الكل، فالقافية هي جزء من قصيدة والقصيدة جزء من الشعر، والعلاقة هنا جزئية. وقوله كذلك:

فَـدَعْ عَنْـكَ التَّـذَكُّرَ كُـلَّ يَـوْمٍ وَرُدَّ حَـزَازَةَ الصَّـدْرِ الْكَئِيـبِ

ففي قول الشاعر (ورد حزازة الصدر الكئيب) تعبير مجازي، فقد أطلق الشاعر الجزء وهو (الصدر) وأراد به الكل (نفسه) فالصدر لا يغتمُّ ولا يحزن، وإنما نفس الشاعر هي التي تتألَّم حين ترى آثار ديار الأحبة فتهيج وتتوجع. فالمجاز مرسل والعلاقة جزئية. ويمكن توضيح علاقة الجزئية وفق الترسيمة التالية:

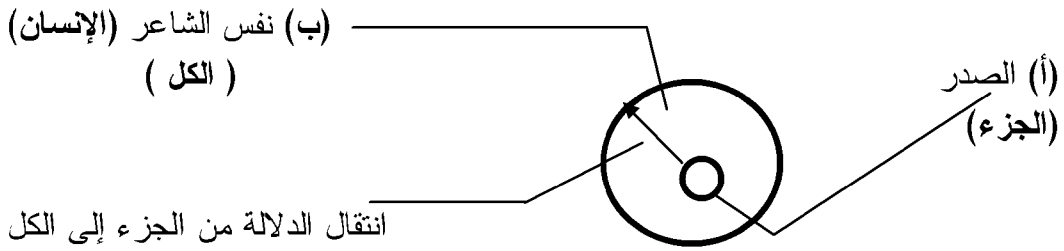

إن استعمال لفظة (الصدر) عند الشاعر لا ينحصر في المدلول الاصطلاحي، فالشـاعر لا يقصدها. لقد حلَّت هذه اللفظة محل لفظة أخرى وهي (نفس الشاعر) أي الإنسـان، وانزلقـت هنا لفظة نفس الشاعر أو الإنسان، التي تؤمِّن الانسجام في المعنى لتحل محلها لفظة (صـدر) والقادرة على نقـل الدلالة إلى مفهـوم (الإنسان).

دال ← مدلول (١) ← مدلول (٢)
الصدر ← جزء من الإنسان ← نفس الإنسان

فالانتقال من المدلول(١) إلى المدلول(٢) لم يتم على أساس المشابهة بل على أساس المجاورة، وعلاقة المجاورة هذه هي أن كلمة (الصدر) جزء من الإنسان، فكان الانتقال من الجزء إلى الكل، كما هو مُوضَّح في الشكل السابق. ومن أمثلة ذلك قول حسَّان في وصف حال قريش بعد هجرة النبي (ﷺ) عنهم:

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ

ففي قول حسَّان (فضلَّت عقولهم) مجازٌ مرسلٌ، علاقته(الجزئية) فالشاعر أطلق لفظ (العقول)، وأراد أصحابها (قريش) وذلك من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. ومن أمثلة ذلك قول حسَّان في مدح الرسول (ﷺ)

كَرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الأَهْوَاءُ وَ الشِّيَعُ

أَهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قَلْبٌ يُؤَازِرُه فِيمَا يُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنِعُ

ففي قول حسَّان:

(أهدى لهم مِدَحي قَلبٌ يُؤَازِرُه فيما يُحِبُّ لسانٌ حائك صَنَعٌ)

مجازان مرسلان، علاقتهما: الجزئية. فقد أطلق لفظة(اللسان) وأراد(صاحب اللسان) وهو الشاعر نفسه. فالقلب واللسان لا يهديان المدح ،والحقيقة أن صاحب القلب واللسان هو من يمدح. فالشاعر لم يقصد قلبه أو لسانه بل قصد نفسه، من باب إطلاق الجزء على الكل، والعلاقة جزئية.

٦-٢-٣- المستقبلية أي اعتبار ما سيكون:

وذلك أن يطلق اللفظ الذي يدل على ما يكون الأمر عليه، والمراد به ما كان عليه قبل ذلك. ومن أمثلة ذلك قول حسَّان بن ثابت في المِدحة النبوية:

فَأَمَّا تَثْقَفَنَّ بَنُو لُؤَيٍّ جُذَيْمَةَ إِنَّ قَتْلَهُمْ شِفَاءُ

أُولَئِكَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا عَلَينَا فَفِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ

ففي قول حسَّان (أولئك) يريد جذيمة، ونصروا علينا أي نصروا علينا أعداءنا بتحالفهم معهم وفي قوله(في أظفارنا منهم دماء) تهديد ووعيد بأن الشاعر ومن معه من أتباع الرسول (ﷺ) سينقمون منهم (من جذيمة) وسيبطِشون بهم، فالدماء التي على الأظفار أظفار المنتقمين لم تكن في الحقيقة وإنما ستكون في المستقبل، بعد الظفر بالعدو، والانتقام منه، وإعمال القتل في صفوفه. فالمجاز مرسل والعلاقة مستقبلية باعتبار ما سيكون. فالشاعر لم يصف لنا صورة واقعية، بل صورة مستقبلية تخيَّلها بعد الظفر بالعدو والانتقام منه.

ومن علاقات المجاز المرسل الأخرى التي لم ترد في مدونة المدح النبوي لحسَّان بن ثابت وذكرها علماء البلاغة في مصنفاتهم الكثيرة، والتي وردت في القرآن الكريم أو الشعر العربي نذكر منها:

– **المسبِّبيَّة:** وذلك أن يُطلق لفظ المسبِّب ويراد السبَّب، ومن أمثلة ذلك قوله (ﷻ): ﴿**هُوَ الذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ**﴾[1]. فالرِّزق هنا المطر، لأنَّ الرِّزق لا ينزل من السماء، وإنَّما الذي ينزل هو المطر الذي يروي الأرض فتأتي أُكلها ويجني الإنسان منها رزقه، وقد عمد القرآن الكريم إلى تجاوز المعنى الحقيقي إلى المجازي وذلك لعلاقة المسبِّبية، فذكر المسبِّب، وهو يريد الإشارة إلى السبب.

– **الكلية:** وذلك أن يُطلق لفظ الكل ويُراد به الجزء، ومن أمثلة ذلك قوله (ﷻ) ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِيَ إِلاَّ فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾[2]. ففي هذه الآيات، أُطلق لفظ الكل وأُريد به الجزء، أي أُطلق لفظ الأصابع وأُريد به الأنامل، فالإصبع لا يُوضع كله في الأذن، بل يوضع جزء منه فقط، فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكلية.

– **الماضوية(اعتبار ما كان):** وذلك بأن يُطلق اللفظ الذي يدلُّ على ما كان الأمر عليه، والمراد ما هو عليه في الحاضر، ومن أمثلة ذلك قوله(ﷻ) ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَاتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَ**﴾[3] . فالمجاز المرسل في قوله (ﷻ) (من يأت ربه مجرما)، فمن المعلوم الواضح أن الإنسان إذا جاء ربه يوم القيامة، لا يكون مجرما لأنَّ أعماله تنتهي وتنقطع بموته، وقد عبَّرت الآية بالمجاز فسماه القرآن مجرما باعتبار ما كان عليه هذا العبد من الإجرام في دنياه، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما كان.

– **المحلية:** وذلك أن يطلق لفظ المحل، ويراد به الحال فيه، ومن أمثلة ذلك قوله(ﷻ) ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ التِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [4]. فقوله(ﷻ):(**واسأل القرية**)، مجاز، فالقرية لا تُسأل كلها، حيوانها، وجدرانها، ونباتها، وجمادها، وإنما الذين يُسألون هم سكَّانها، فالمجاز مرسل والعلاقة محلية.

---

(١) سورة غافر، الآية:١٣

(٢) سورة نوح، الآيات: ٥، ٦،٧

(٣) سورة طه، الآية:٤٧

(٤) سورة يوسف، الآية:٨٢

-**الحالِيـــة**: وذلك أن يُطلق لفـظ الحالّ، ويُراد بـــه المحـلّ، ومـن أمثلـــة ذلـك قولـه(ﷻ) ﴿**إِنَّ الابْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾[1] فالمجاز في (نعيم) فالأبرار إنما يكونون فـي مكـان عظيم، ولكن الآية لم تذكر هذا المكان وهو الجنة، وذكرت صفة أساسية من الصـفات التـي تحلّ فيه وهي النعيم، فالنَّعيم إذا مجاز مرسل علاقته الحالِّية.

- **الآلية**: وذلك بأن يُطلق اسم الآلة، ويُراد به الأثر الذي ينتج عنـها، ومن أمثلـة ذلـك قولـه(ﷻ) ﴿**وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الاخِرِينَ**﴾ [2] فقد ذكر اللسان وأراد ما ينتج عنـه، فاللسان مجاز مرسل علاقته الآلية، والمراد من قوله (ﷻ)، أي: اجعل لي ذِكرا جميلا بعدي، أُذكر به، ويُقتدى بي في الخير.

٧ـ بلاغة الصورة المجازية في المِدحة النبوية عند حسَّان بن ثابت:

لقد أدرك علماء البلاغة ما للأسلوب المجازي من جودة في التعبير، وقدرة على التصوير وتأثير كبير في نفس المتلقي بما يثيره فيه من انفعالات مناسبة حين يستولي علـى النفـوس ويفعل فيها فعل السِّحر. والصورة المجازية هي من أساليب البلاغة العربيـة التـي وسَّـعت مجال التعبير والإبداع، وأضفَت على اللغة طابع الجمال. وقلنا إنَّ الصـورة المجازيـة قـد وسَّعت من مجال التعبير، يقول الأستاذ «غازي يموت»: إنَّ اللفظ في المجاز: « **يُنقـل مـن مدلوله الأصلي إلى مدلول جديد، فيبعث على التأمُّل، ويستثير الخيـال والتفكيـر، ويشـرع للمعاني آفاقـا عريضة، ترتاح لها النفس ويستسيغها الذَّوق، لما فيها من توسـيع اللغـة وافتتان في التعبير، وإيراد المعنى الواحد بصور مختلفة** »[3].

كما يُعدُّ المجاز فنّا من فنون الإيجاز كذلك. وقد أفاض أهل البلاغة فـي الحـديث عـن المجاز وذكر محاسنه، وبأنه أبلغ من الحقيقة. فقال«ابن رشيـق»: « **إنَّ العـرب كثيـرا مـا تستعمل المجاز، وتعُدُّه من مفاخر كلامها، فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبـه بانـت لغتهم عن سائر اللغات... والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا فـي القلوب والأسماع** »[4]. وقال عنه «عبد القاهر الجرجاني» « **هو كنز مـن كنـوز البلاغـة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، في الإبـداع، والإحسَّـان، والاتسـاع فـي طريـق**

(١) سورة المطففين، الآية:٢٢

(٢) سورة الشعراء، الآية:٨٤

(٣) علم أساليب البيان: غازي يموت، ص٢٣١

(٤) العمدة : ابن رشيق، ٢٣٢/١.

البيان»[1]. وقد أشرت في موضع سابق من هذه الدراسة إلى هذين القولين عند حديثي عن أيهما أبلغ الحقيقة أو المجاز؟

ومن أهم ما يفيده المجاز وخاصة المرسل منه:

٧ـ١ ـ المبالغة:

فإذا دقَّقنا النظر فإننا نرى أن أغلب أضرب الصورة المجازية لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في إخراج التعبير في شكل جذَّاب وأنيق: فإطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل كقول حسَّان بن ثابت:

فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

فقول حسَّان (فنحكم بالقوافي من هجانا) فيه كثير من المبالغة إذ جعل حسَّان من القوافي مصدرا للقوة والمنعة لكل من تصدى لقتالهم، وبلاغة هذا التعبير تكمن في قوة هده القوافي التي سَمَا بها الشاعر إلى حد جعلها كالسِّلاح، وذلك عن طريق المجاز المرسل، فهو أراد أن يعلي من أشعاره، ويرفع من قيمتها إذ يجعلها لاذعة مفحمة للأعداء والخصوم. ونرى أن التعبير بالحقيقة قد يقصر عن هذا المعنى لما فيه من مبالغة وخيال.وفي قول الشاعر:

فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ وَرُدَّ حَزَازَةَ الصَّدْرِ الْكَئِيبِ

ففي قول حسَّان (ورد حزازة الصدر الكئيب) نرى أنَّ بلاغة هذا التعبير أنه يكشف بصدق عن مدى حرارة ما يحس به الشاعر كلما تذكَّر ديار لأحبة وما فعل بها الزمان. وكأنَّ الشاعر أراد أن يكتم ما يَحزُّ في نفسه، وما يلاقي في سبيل ذلك من ألم وحسرة، وهمٍّ، وغمٍّ، فهو يخاطب نفسه، ويخبِرُها بأنه لا جدوى من ذكر الديار والأحبة، وكأنه يقول في قرارة نفسه: دعي هذا واصرفيه عنك، واصرفي بصرفه ما يوجعك ويهيِّج شجنك. فكل هذا الكلام يدور في خلد الشاعر ولكنه لم يصرح به، واكتفى برده إلى صدره الكئيب لما حل به بفقدان الأحبة وبقاء آثارهم. والعرب تعبِّر بالصدر عن كثرة الهموم والأحزان.

٧ـ٢ـ الإيجاز:

فالإيجاز هو مقصد من مقاصد البلاغة التي قيل عنها إنها (لمحة دالة) وقيل عنها كذلك (البلاغة الإيجاز). والإيجاز هو التعبير عن المعنى الكثير، بالعبارة الموجزة، ومن أمثلة ذلك قول حسَّان بن ثابت:

أَهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قَلْبٌ يُؤَازِرُه فِيمَا يُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنِعُ

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص٦٥.

فالشاعر يريد أن يقول من خلال التعبير المجازي أن لسانه الذي هو جزء منه، يؤازر قلبه في حب الرسول(ﷺ) وشيعته، وأنَّ لسان الشاعر هو الذي كان سببا في المدح أي سببا في ذكر مناقب القوم وتخليدها، ومردُّ ذلك إلى لسانه الحاذق الذي يصنع المديح ويتفنَّن فيه، ولكن الشاعر اختصر هذا الكلام كله وعبَّر بالمجاز فكان الإيجاز.

٧ـ٣ـ توكيد المعنى:

إنَّ العدول عن الحقيقة إلى الاستعمال المجازي للتعبير عن معنى من المعاني من أهم أغراضه: توكيد المعنى وتقريره في نفس المتلقي، وإثارة انفعالاته، وومن ثمَّ فإن المعنى لم ينكشف للمتلقي تمام الانكشاف، ولكنه أثار فيه انفعال التشوق والتطلع إلى معرفة دلالته المجازية التي يريدها المتكلم، حتى إذا وصل إلى ذلك أحست نفسه حينذاك باللذة والمتعة مما يستدعي توكيد المعنى المجازي فيها. ويصل الأسلوب المجازي إلى غرضه أيضا في توكيد المعنى في النفس، وإثارة الانفعال المناسب فيها عن طريق إثارة التخييل المناسب لدى المتلقي، والذي سماه البلاغيون (التمويه) ويكون بانتقاء الألفاظ الموحية، ذلك لأن الصورة الإيحائية التي ترسمها لفظة ما في نفس المتلقي، كلَّما كانت مناسبة ملائمة، فإنها تعمل على تحسين المعنى المراد، ونقله وتوكيده وإثارة النشوة فيه. ومن أمثلة ذلك قول حسَّان بن ثابت:

دَيَّارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

فقد انتقى الشاعر لفظة (السماء) في تعبيره المجازي دون غيرها من قاموسه اللغوي التي لها دلالات مماثلة. وذلك لأن الدلالة الإيحائية التي ترسمها لفظة (السماء) في مخيلة الإنسان العربي نظرا لكون السماء مصدر رزق، والسماء في بيئة العربي الجدبة مصدر للخير والخصب والنماء والعطاء. ومن هنا كان للفظة (السماء) جرس خاص وموقع مميِّز فهو مدعاة لبعث النشوة والطرب في نفس العربي. ويبدو أن هذا الجو الانفعالي المناسب لا يمكن الوصول إليه لو عُدل عن هذا الاستعمال المجازي إلى التعبير الحقيقي المباشر.

خاتمة البحث:

من خلال دراستي لبلاغة الصورة المجازية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري، خلصت إلى بعض النتائج لعلَّ أهمها:

- أن الشاعر يُعدُّ من فحول شعراء المدح النبوي في عصر صدر الإسلام، وإن لم يكن هو الوحيد في هذا الفن، فقد كان ضمن كوكبة من شعراء الدعوة الإسلامية الذين كانوا

ينافحون بشعرهم عن رسول الله صلى عليه وسلم ويذودون عنه، ويردُّون على أهاجي المشركين وأراجيفهم أمثال: عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهما...

- أن الشاعر حسان بن ثابت قد أبدع في الكثير من صوره المجازية، ووُفِّق إلى حدٍّ بعيد في مِدحياته من حيث جودة التعبير، وقدرته على التصوير، ولا يخفى على أحد ما في العدول عن الحقيقة من توكيد للمعنى في نفس المتلقِّي وإثارة لانفعالاته النفسية وشعوره بالمتعة واللذة.

- صحيح أن الكثير من علاقات الصورة المجازية المرسلة التي خلت منها المِدحة النبوية في شعر حسّان، وقد يُعزى ذلك إلى سمة بارزة تكاد تكون الطابع الغالب في شعر الفترة كلِّها ــ وبالخصوص عند شعراء الدعوة الإسلامية ــ الذي وصفه الكثير من النقاد القدماء بالضعف بالليونة لأنه ولج باب الخير، هذا من جهة، وربَّما لاحتفاء حسَّان بالمعنى بعيدا عن بهرج اللفظ وزخرفه من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تح أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٨.

٢- أساس البلاغة: الزمخشري، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.

٣- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، شرح عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.

٥- الإيمان: ابن تيمية، تح يوسف الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

٦- التلخيص في علوم البلاغة: القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٠٤.

٧- الحيوان: الجاحظ، تح يحيي الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٣، ١٩٩٠.

٨- الخصائص: ابن جني، تح محمود علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١.

١٠- الصناعتين: أبوهلال العسكري، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١١- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

١٢- علم أساليب البيان: غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
١٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٨٦.
١٤- الفرق بين الفرق: البغدادي، تح محمد بدر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٠.
١٥- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث: لطفي عبد البديع، مكتبة لبنان والشركة المصرية، ط١، ١٩٧٦.
١٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تح محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٩.
١٧- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تعليق فؤاد سيزكين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٤.
١٨- المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
١٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: فؤاد عبد الباقي، دار الأندلس، بيروت.
٢٠- مفتاح العلوم: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١- النكت في إعجاز القرآن: الرماني، تح أحمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.